جدلية العلاقة بين الإعلام والإرهاب فى العالم العربى

دكتورة / وسام نصر
أستاذ مساعد بقسم الإذاعة والتليفزيون
كلية الإعلام – جامعة القاهرة

مع بداية الأُلفية الثالثة، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، دخل الإرهاب المُعاصر مرحلة جديدة من مراحل التطور من حيث المفهوم والخصائص وآليات التنفيذ، فلم يعد عملاً فردياً يقوم به فرد يائس ومُتعصب يتوهم تغيير العالم بعمله الإرهابي الفردي، بل تحول في سياق العولمة ومعطيات الثورة الاتصالية الإلكترونية إلى عمل جماعي منظم يحتاج إلى خبرات تقنية عالية وإمكانيات مادية ضخمة، وأصبح الإرهاب مهنة لها مؤسساتها وخططها وبرامجها.

واتسم العقدان الأوليان من الألفية الثالثة ببروز ما يُسمى بـ"الشكل العولمي للإرهاب" أو "عولمة الإرهاب"، والذي نتج عن التطور الهائل والمتلاحق في تكنولوجيا الإعلام والاتصال، حيث أصبحت وسائل الإعلام، وبوجه خاص الفضائيات وشبكة الإنترنت أحد أهم أدوات الإرهاب المُعاصر لتنفيذ أهدافه ليس على النطاق المحلي أو الإقليمي فحسب وإنما على النطاق العالمي أيضا.

وللإرهاب أشكال متعددة؛ فهناك الإرهاب المسلح، والإرهاب السياسي، إلا إنه من أخطر صور وأشكال الإرهاب في الوقت المَعاصر وأقواها أثرًا وتأثيرًا ما يُعرف بالإرهاب الفكري عبر وسائل الإعلام التقليدية والحديثة (الإنترنت).

وفيما يتعلق بالإرهاب الفكري عبر وسائل الإعلام، فإن بعض وسائل الإعلام تسهم بقصد أو بدون قصد بنشر الفكر الإرهابي من خلال تقديمها للأعمال والرسائل التي تتسم بالعنف الممنهج، ويكون الهدف دعائيًا وتشهيريًا، ومن ثم يتحول الفكر الإرهابي إلى تجسيد واقعي فاعل ينبني على فلسفة وأيديولوجية واضحة[١].

أما الإرهاب الإلكتروني أو الرقمي، فهو نوع آخر من الإرهاب ظهر نتيجة التطور التكنولوجي والثورة المعلوماتية، باستغلال شبكة الإنترنت للهدم والتخريب. ويمكن تعريفة بأنه" العدوان أو التخويف أو التهديد ماديًا أومعنويًا باستخدام الوسائل الإلكترونية الصادرة من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان، وعلى دينه، أو نفسه، أو عرضه، أو عقله، أو ماله بغير حق"[٢].

في ضوء ذلك يحاول هذا البحث أن يستعرض أبعاد العلاقة الجدلية بين الإعلام والإرهاب في ضوء التطورات الأخيرة علي طبيعتها في المحور الأول من التقرير، مع التركيز علي ظاهرة الإرهاب الالكتروني أو الرقمي باعتبارها الظاهرة الأحدث في علاقة الإعلام بالإرهاب مع الإشارة إلي آليات استغلال الجماعات الإرهابية للشبكة العنكبوتية، وأسباب انتشار جرائم الإرهاب الإلكتروني في العالم العربي تحديدا، وذلك في المحور الثاني من التقرير .

المحور الاول :جدلية العلاقة بين الإعلام والإرهاب :

إن التغطية الإعلامية والإرهاب تربطهما علاقة وثيقة، وهما عملياً متلازمان ضمن حدود تلك العلاقة، إذ يغذي كل منهما الآخر لتحقيق دوافع سياسية وأيديولوجية، فضلاً عن تحقيق الربح التجاري، ويظهر هذا التلازم عن طريق مايلي:

أولاً: يحتاج الإرهابيون إلى وسائل الإعلام للفت الإنتباه نحو قضاياهم، وفي هذا الصدد يُشار إلى قدرة المنظمات الإرهابية على تطويع وسائل الإعلام والاستفادة من ثورة الاتصالات المتقدمة في تنفيذ عملياتها وأجنداتها ومخططاتها الإجرامية، إضافة إلى حضورها الفاعل على الإنترنت وغيره من الوسائط المعلوماتية للترويج لافكارها الهدامة، وتجنيد الشباب في صفوفها، على سبيل المثال : التفجيرات الإرهابية التي شهدتها فنادق عمان عام 2006، إضافة إلى الرسالة التي وجهها تنظيم داعش الإرهابي عبر اليوتيوب عن إحراق الطيار الأردني معاذ الكساسبة، ورسائل كثيرة اسُتخدمت شبكات التواصل الاجتماعي لبث صور ومقاطع فيديو تدل على فكرهم الظلامي المتطرف [٣].

ثانياً: إن نشاطات الإرهابيين تجتذب الاهتمام الإعلامي، وتحتل موقعاً بارزاً ضمن اهتمامات وسائل الاتصال الجماهيري، وتَعُدها بعض هذه الوسائل من الأحداث التي تؤدي تغطيتها إلى تعزيز مكانة الوسيلة الإعلامية، وأنها تحتاج إلى الإطالة والتعمق في قصص تلك الأحداث لأن ذلك يكسبها مزيداً من المتلقين.

وتهتم وسائل الإعلام اهتمامًا بالغاً بأحداث الإرهاب، ويصنفها المحررون بأنها أحداث ذات قيمة إخبارية متزايدة؛ لانطوائها على قدر متزايد من الصراع، ومن ثم تتصدر هذه الأحداث مقدمة النشرات الإخبارية في التلفزيون، والفضائيات الدولية، والصفحات الأولى بالصحف، وفي هذا المجال يدركها الجمهور بوصفها أحداثًا بالغة الأهمية والاعتبار خلال فترة زمنية معينة.

ويأتي اهتمام وسائل الإعلام بتلك الأحداث الإرهابية لأسباب تنطلق من عدة جوانب [٤]:

- جانب موضوعي:

إن تلك الأحداث غالباً ما تتسم بالأهمية والضخامة فيما يتعلق بالجمهور لأنها تمس يومياتهم، وأن عدم تناقل المعلومات المتعلقة بها، قد يتنافى مع موضوعية الإعلام، ولكن تبقى طريقة المعالجة الإخبارية لتلك الأحداث التي لا يجب أن تُقدم منفذي تلك القصص على أنهم من مستحقي التعاطف والثناء والرواج.

- جانب وقائي:

يأتي هذا الاهتمام ضمن سياق إعلامي للدولة وأجهزتها الأمنية، للتعريف بخطر تلك الأحداث على مجتمعاتها. وتوفير مسوغات جماهيرية لرفضها ومواجهة منفذيها وتحريك الرأي العام ضد فعالياتهم، وخلق وعي أمني واتخاذ إجراءات وقائية.

- جانب سياسي:

إذ بدأت بعض وسائل الإعلام الترويج لموضوع الإرهاب وصولاً إلى أهداف وأجندات سياسية معينة، لاسيما في تلك الدول التي تشير إلى أن متغير الإرهاب بات السمة الأبرز التي تواجه المجتمع الدولي المعاصر، وأن آثارها ستستمر لوقت مفتوح، ومن بينها الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي إطار ما سبق يُثار التساؤل التالي؛ هل يُعد الإعلام السبب والعامل الرئيس في صناعة ظاهرة الإرهاب بصوره وأشكاله المتعدده؟.

في الواقع هناك العديد من العوامل والأسباب التي أسهمت في تكوين بيئة ملائمة لنمو ظاهرة الإرهاب وتضخمها خلال السنوات الأخيرة، ولعل من أهم هذه العوامل:

١. التدخلات العسكرية والحروب التي أقامتها الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو، في عدد من البلدان مثل أفغانستان والصومال والعراق وليبيا، حيث لم تحقق هذه الحروب أهدافها وشعاراتها، إذ كان الهدف الحقيقي من ورائها إنماء ظاهرة التطرف في تنظيمات الإسلام السياسي، حيث أدعت أمريكا في وسائل الإعلام أثناء حربها على العراق أنها ستحقق الديمقراطية وتضمن حقوق الإنسان، بينما تمثل الواقع في إشاعة الفوضى وإشعال الحروب الأهلية بين الفصائل المتناحرة، وبالتالي سيطرة الإرهاب[٥].

٢. التدخلات الإقليمية في الشرق الأوسط، والتي تُعد انعكاس لصراع إقليمي، كما هو الحال في العراق وسوريا ولبنان واليمن، وغيرهم.

٣. المنظومة الفكرية للتنظيمات الإسلامية المتطرفة، إذ تتمثل المنظومة الفكرية لأحزاب الإسلام السياسي في إلغاء الآخر ومصادرة الحقوق والحريات، كما أن هذه المنظومة الفكرية تؤمن بممارسة الخطاب السياسي الطائفي، وتؤكد على إبراز

نقاط الخلاف والحضور الدائم للتاريخ الدموي القديم، لتغذية الحقد والكراهية ضد الأخر، ومن هنا نجد أن هذه المنظومة الفكرية تهيئ بيئة لنمو ثقافة التطرف الفكري[٦].

وفضلًا عن العوامل السابقة، فإن اللجنة الخاصة للإرهاب الدولي التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1979 حددت أسبابًا سياسية واقتصادية واجتماعية للإرهاب تتلخص في" سيطرة دولة على دولة أخرى، واستخدام القوة ضد الدول الضعيفة، وممارسة القمع والعنف والتهجير، وعدم التوازن في النظام الاقتصادي العالمي والاستغلال الأجنبي للموارد الطبيعية للدول النامية، وانتهاك حقوق الإنسان السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالتعذيب أو السجن أو الانتقام، والجوع والحرمان والبؤس والجهل، وتجاهل معاناة شعب ما يتعرض للاضطهاد، وتدمير البيئة"[٧].

وهناك عددًا من العوامل التي تختص بها المنطقة العربية والتي تشكل أساسًا قويًا لبروز ونمو ظاهرة الإرهاب في العالم العربي، وتتمثل هذه العوامل في[٨]:

- التغيرات الاقتصادية والاجتماعية: والتي أدت إلى تكثيف حركة الهجرة من الريف إلى المدينة، وانتشار الأحياء العشوائية الفقيرة في مدن بعض الدول، وتفشي البطالة، وخاصّة بين الشباب، وبالتالي كان استقطابهم من جانب جماعات التطرف أو العنف، أو انضمامهم التطوعي إليها، مسألة سهلة إلى حد كبير.
- غياب العدالة الاجتماعية: المتمثلة فى نقص في مصادر الثروة والسلع والخدمات، وعدم العدالة في توزيع الثروة والدخول والخدمات والمرافق الأساسية بين الحضر والريف، بما يؤدي إلى حالة من الإحباط الفردي والسخط الجماعي.
- الظروف السياسية: تدني مستوى المشاركة السياسية وخاصة بين الشباب، وعدم وجود تعددية سياسية، والافتقار إلى قدر من حرية التعبير، وعدم وجود تداول حقيقي للسلطة، وتجاهل مطالب الأقليات وقمع الجماعات المعارضة، مما يؤدى لتهيئة التربة المناسبة للعنف والإرهاب.
- أزمة التعليم ومؤسساته: اعتماد نظم التعليم في معظم الأقطار العربية على التلقين والتكرار والحفظ، دون إعمال للعقل ومثل هذه النظم تفرز طالبًا يتقبل بسهولة كل ما تمليه عليه سلطة المعلم دون نقاش، وبذلك يصبح من السهل أن يتقبل كل ما تمليه عليه سلطة أمير الجماعة دون تحليل أو نقد أو معارضة، ويكون عرضة للانخراط في أية جماعة أيًا كان توجهها.
- الفراغ الفكري والفهم الخاطئ للدين : يعطي الفرصة للجماعات المتطرفة لشغله بالأفكار التي يروجون لها ويعتنقونها، كما أن غياب الحوار المفتوح من قبل علماء الدين لكل الأفكار المتطرفة يرسخ الفكر المتطرف لدى الشباب.

وتأتي وسائل الإعلام لتساند وتدعم كل الأساليب والعوامل السابقة التي تستند إليها المنظمات الإرهابية في تحقيق أهدافها الإجرامية عن طريق نشر أخبار العمليات الإرهابية التي يقومون بتنفيذها على اعتبار أن الحملات الإعلامية التي تغطي هذه العمليات تساعد على تحقيق واستكمال أهدافهم، حيث يرون في التغطية الإعلامية لجرائمهم معياراً هاماً لقياس مدى نجاح فعلهم الإرهابي، لدرجة أن البعض منهم. يعتبر العمل الإرهابي الذي لا تصاحبه تغطية إعلامية عملًا فاشلًا، الأمر الذي دفع ديفيد برودر David Brodor المراسل الصحفي في الواشنطن بوست إلى المطالبة بحرمان الإرهابيين من حرية الوصول إلى منافذ الوسائل الإعلامية لأن تغطية العمليات الإرهابية إعلامياً، وإجراء مقابلات إعلامية مع الإرهابيين تعتبر جائزة أو مكافأة له على أفعالهم الإجرامية، إذ تتيح لهم المجال أن يخاطبوا الجمهور ويتحدثوا إليه عن الأسباب والدوافع التي دفعتهم لهذا الفعل، الأمر الذي يتسبب بإنشاء نوع من التفهم لهذه الأسباب، وذلك على حساب الفعل الإجرامي نفسه. وقد ذكر الكثير من الاشخاص المنخرطين في العمل الإرهابي، والذين ألقي القبض عليهم في العراق، أنهم تأثروا بما كانت تعرضه قناة الجزيرة وغيرها في هذا المجال، فقرروا الالتحاق بالمنظمات التي تحرض على القيام بالتفجيرات والعمليات الانتحارية.

وفي هذا الإطار يقول والتر لاكير "Walter Laqueur": "الإرهاب بمفرده لا يعني شيئاً، نشره عبر وسائل الإعلام هو كل شيء"، وفي نفس المعنى قال الباحث التركي أسفت تلجان: "يمثل العمل الإرهابي في حد ذاته بداية الإرهاب، بداية لآلية أكثر تعقيدًا وهي الدعاية، فالإرهاب والجماعة الإرهابية ستكون غير سعيدة على الإطلاق ومُحبطة، إذا ما عرفت أن جريمتها لن تُكتشف، ولن تَجذب اهتمام المجتمع"[٩].

وهكذا أصبح الإعلام وخاصة الإعلام الفضائي السلاح الأقوى بيد الإرهابيين، فالعمل الإرهابي التدميري يجذب اهتمام وسائل الإعلام، وبهذا يُمكن الإرهابيين –خاصة في الدول التي يسيطر فيها الإعلام التعددي الخاص والتجاري- من استغلال هذه الوسائل لصالحه.

وفي أحد الاستطلاعات التي أجريت لمعرفة ما إذا كان هناك دور للإعلام في تأجيج الإرهاب، أجاب ٨٠% من مجموع المستجوبين إجابة مطلقة تفيد بأن الإعلام يلعب هذا الدور[١٠].

ويُشار في هذا الشأن إلى التزايد الهائل في عدد القنوات الفضائية الإخبارية العربية بوضوح في الألفية الثالثة، الأمر الذي أدى إلى زيادة حدة المنافسة بين الفضائيات العربية لجذب أكبر عدد من المشاهدين، وسلكت من أجل ذلك شتى الطرق والوسائل المشروعة وغير المشروعة، فكان أن حقق بعض هذه الفضائيات نجاحاً مشهودًا على المستوى العربي، ونالت المصداقية واستطاعت بالفعل أن تجذب الجماهير إليها، في حين أن بعض الفضائيات ظلت أسيرة نطاقها الضيق ولم تعد كونها إعادة بث للقناة الأرضية يعمل مواطنوها على تجاوزها إلى فضائيات أخرى لمعرفة أخبارهم المحلية الصحيحة،

وقد توقع كثيرون أن تسهم هذه الفضائيات في رفع سقف الحرية ونشر الثقافة وتقديم الأخبار الأكثر صدقًا واحترامًا لعقل المشاهد، والانطلاق من أسر المحليات إلى الفضاء العربي والدولي، ولكن ماحدث من قبل الكثير منها كان على النقيض من ذلك[١١].

ويحصر الباحثون والمتخصصون في هذا الشأن الأدوار التي تساهم بها الفضائيات التليفزيونية في زرع العنف وتنمية فكر التطرف والإرهاب – بشكل مباشر أو غير مباشر – في الآتي[١٢]:

- إتباع سياسة التهويل والتضخيم، لدى بعض وسائل الإعلام لتحقيق الإثارة الإعلامية والإقبال الجماهيري.
- ما تبثه بعض الفضائيات من أخبار وصور وتحليلات وتقارير تنمي هذا الفكر ولو بطريق غير مباشر تحت غطاء الحرية المغلوطة.
- هيمنة الطابع الإخباري على التغطية الإعلامية وتغييب التغطية ذات الطابع التحليلي والتفسيري.
- افتقار بعض هذه الوسائل إلى الخبراء والمختصين في المجالات الأمنية والاجتماعية والنفسية والتربوية لإقناع المشاهد بحقيقة الحدث و الانسياق وراء التضخيم الإعلامي الذي يؤدي في معظم الأحيان إلي نتائج عكسية.
- عرض المناظر والمشاهد المأساوية وتصوير الأضرار بشكل متكرر ومبالغ فيه، إضافة إلى بث وجهات نظر الإرهابيين دون إتاحة الفرصة لتعريتها والرد عليها، الأمر الذي يشكل خطورة تؤدي بدورها إلى حدوث ردود فعل سلبية لدى البعض من شأنها خدمة العمل الإرهابي.
- عدم التخصص وضعف الخلفية المعرفية للقائمين على التغطية الإعلامية التليفزيونية التي تتعامل مع ظاهرة العنف والإرهاب أثر سلباً في إيجاد الحلول المناسبة لها، وحولها إلى مجرد تغطية سطحية وأحيانا تحريضية واتهامية تنطوي على اتهامات وأحكام مسبقة وربما مبيتة، جعلها عاجزة عن فهم خطاب الجماعات المتطرفة ومنظوماتها ومرجعياتها الفكرية والتنظيمية. وفي حالات كثيرة تميل المعالجة الإعلامية لظاهرة الإرهاب إما إلى التهوين وإما إلى التهويل، بما يؤثر في صدق هذه التغطية ويحد من قدرتها على التأثير بسبب طغيان البعد الدعائي على البعد الإعلامي الموضوعي، فعلى سبيل المثال، نجد أن أغلب التغطيات والتحليلات الإعلامية لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة الأمريكية، تتهم الإسلام والجماعات الإسلامية بتدبير وتنفيذ ذلك، وتتهم الإسلام بقمع الحريات وممارسة العنف والتسلط، مستهدفة تشويه صورة الاسلام، وتمرير صورة مضللة عنه تقرنه بالعنف والإرهاب، وذلك في سياق حملة ثقافية مدبرة ضد العرب والاسلام تبدأ من الكتب المدرسية لتمضي عبر معظم الوسائط المعلوماتية والاتصالاتية.

ومن الأمثلة القوية على استغلال الإرهاب للإعلام، الحجة أو الذريعة التي ساقتها الإدارة الأمريكية في حربها على

العراق وأفغانستان، والتي تمثلت في ترديد أكاذيب عديدة حول امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل وعلاقة نظام صدام حسين بتنظيم القاعدة، وقامت بترويع الشعب الأمريكي وبث الرعب والخوف في نفسيته من خلال تصوير الأخطار الإرهابية بالقادمة والمتوقعة الحدوث إذا لم تكن هناك مبادرة عسكرية هجومية للقضاء على الإرهاب في معقله قبل أن يزحف ويستهدف الولايات المتحدة، مستندة على افتراض أن السيطرة على عقول الناس وأفكارهم تكون عن طريق إخبارهم أنهم معرضون للخطر، وهي ما يمكن أن يُطلق عليه باستراتيجية الخداع الإعلامي، التي نجح من خلالها الرئيس الأميركي جورج بوش في شن حملة إعلامية واسعة لإقناع الشعب الأميركي بضرورة خوض الحرب على العراق، واستخدمت الإدارة الأميركية الوسائل الإعلامية للفت الانتباه من خلال بث بيانات صحفية وإعلامية تحوي معلومات ترسخ استراتيجيتها، ونشر صور بالأحداث التي تريد واشنطن الترويج لها، وتوفير أكبر قدر من المعلومات لوسائل الإعلام "الصديقة" التي تؤيدها، إضافة إلى اعتمادها على الدعايات الموجهة عن طريق قيام الحكومة الفدرالية بإنتاج تقارير إخبارية تلفزيونية مجهزة مسبقًا، بغرض الدعاية لأهدافها التي من بينها غزو أفغانستان والعراق، ثم تقوم الجهات الحكومية (وزارتا الخارجية والدفاع) بإرسال هذه التقارير الجاهزة إلى شبكات الأخبار الكبرى التي تقوم بدورها ببيعها إلى قنوات التلفزة المحلية التي يعتمد عليها المشاهد الأميركي العادي، والتي تبث هذه التقارير دون الإشارة إلى مصدرها[١٣].

ومن الشروط والفرص التي تضمن للإرهابيين إشهاراً واسعاً، نجد على سبيل المثال اختيارهم المتعمد لأوقات محددة، وأماكن معينة لتنفيذ عملياتهم الإرهابية فمثلاً: لعبت الصحافة المكتوبة اليومية بإيطاليا دورًا مركزيًا، حيث كان الإرهابيون الإيطاليون لليسار المتطرف غالبًا ما يوجهون ضرباتهم أيام (الأربعاء والسبت)، وهي الأيام التي يكون فيها توزيع الجرائد كبيراً. كما أن واضعي القنابل بفرنسا عام (١٩٨٦) بذلوا جهداً لوضعها في نهاية الظهيرة لتتصدر النشرات الإخبارية المتلفزة باعتبارها الأكثر مشاهدة، ليتم إرسال الصحافيين إلى عين المكان مباشرة بعد الانفجار، والصحافيون بدورهم يضمنون معالجة درامية مفرطة للحدث المأساوي على الهواء، وهذا بمثابة مكسب فعلي للإرهابيين، الذين يتمتعون بمهارة فائقة في توقيت قيامهم بالأعمال الإرهابية لجذب الانتباه إليهم، حيث أنه في أغلب الأحيان يكون الهدف الحقيقي للإرهابيين ليس إدعاء القوة، وإنما تحقيق الشهرة فحسب[١٤].

المحور الثاني: ظاهرة الإرهاب الإلكتروني :

قبل التطرق للإرهاب الممارس عبر الشبكة العنكبوتية علينا أن نستعرض الحجم المتزايد لاستخدام تلك الشبكة في العالم العربي، حيث تشير أحدث الإحصائيات عن الإنترنت في العالم العربي أن معدل الإنتشار بلغ إجمالاً ٣٦%، وبلغ عدد مستخدمي الإنترنت في المنطقة العربية أكثر من ١٣٥ مليون مستخدم، يستخدم أكثر من ٧١ مليون منهم الإعلام

الاجتماعي بنشاط حالياً، بالإضافة إلى ذلك بات الانتشار الواسع للاتصال الرقمي في العالم العربي، من خلال ٤٠٠ مليون جهاز جوال يخلق فرص وتحديات جديدة للحكومات والأعمال[١٥].

وقد شهدت السنوات الأخيرة تزايدًا ملحوظًا فى استخدام الإرهابيين لشبكة الإنترنت، فزاد عدد مواقع الإنترنت التي تروج للفكر المتطرف والإرهاب حيث كان عددها عالمياً ١٢ موقعاً عام ١٩٩٨ ووصل العدد الأن إلى ٥٨٠٠ ألف موقع وفقًا للاتحاد الأوروبي، ومن خلال رصد مجلس وزراء الداخلية العرب للمواقع سالفة الذكر بالتعاون مع الدول الأعضاء فإن عدد هذه المواقع يصل لأكثر من ٧٢٠ موقع وصفحة تستهدف تضليل المواطن العربى والترويج لفكر التطرف والإرهاب وضرب خطط التنمية والتقدم فى الدول العربية، وهذا الرقم الخاص بمواقع وصفحات الانترنت الارهابية يتغير بصفة شبه مستمرة نظرًا لقيام معظم الدول العربية بحجب مواقع الانترنت الإرهابية لكن سرعان ما تعود تلك المواقع والصفحات الإرهابية مرة أخرى وهكذا[١٦].

وفي ظل التزايد المطرد في أعداد مستخدمي شبكة الإنترنت على المستوى العالمي والعربي، ظهرت وتنامت في السنوات القليلة الماضية نوعية جديدة من الجرائم الإرهابية الإلكترونية من قبل بعض مستخدمي هذه الشبكة، كالقرصنة والسطو والسرقة والتزوير والتشهير والتحريض على العنف والقتل، وغيرها من الجرائم التي تشكل على الجانب الآخر تهديداً نفسياً ومجتمعياً وصحياً لملايين من مستخدمي الشبكة، وبالأخص الأطفال والشباب.

وقد ساعد على تنامي هذه الجرائم الإرهابية الإلكترونية ضعف إن لم يكن انعدام الرقابة الأمنية على العديد من الاستخدامات والتطبيقات التكنولوجية الحديثة على شبكة الإنترنت، فضلًا عن القصور التشريعي تجاه جرائم الإنترنت.

وتتصف الجرائم الإرهابية الإلكترونية بالتجدد الدائم والتغير المستمر، فضلًا عن كونها غير مسبوقة في عالم الجريمة التقليدية، ولا يتطلب تنفيذها وقت كبير، ويتم تنفيذها عن بعد، فهي جرائم عابرة للدول، كما أنها جرائم مخفية، لا يمكن ملاحظة آثارها، والتخمين بوقوعها، وهي جرائم ناعمة لا تتطلب عنفًا.

وتتميز جرائم الإرهاب الإلكتروني عن الجرائم التقليدية بأنها صعبة الإثبات، وهذا راجع إلى افتقاد وجود الآثار التقليدية للجريمة، وغياب الدليل الفيزيقي (بصمات، تخريب، شواهد مادية) وسهولة محو الدليل أو تدميره في زمن متناه القصر، والوصول للحقيقة بشأنها يستوجب الاستعانة بخبرة فنية عالية المستوى.

- <u>جرائم الإرهاب عبر الشبكة العنكبوتية</u> [١٧]

شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين ظهور العديد من التنظيمات المسلحة والعمليات الإرهابية في مختلف أنحاء العالم. ويتم بث ونشر ثقافة الإرهاب عبر شبكة الإنترنت عن طريق تأسيس مواقع افتراضية تمثل المنظمات الإرهابية التي تعلن عبر هذه المواقع تحملها مسئولية بعض الهجمات التي وقعت، أو تنفي تورطها في ذلك. وتجند الجماعات الإرهابية عن

طريق هذه المواقع عناصر إرهابية جديدة تساعدهم على تنفيذ مخططاتهم بالاعتماد بشكل أساسي على فئة الشباب، ضُعاف العقل والفكر، من خلال دعوة الشباب إلى الجهاد والاستشهاد في سبيل الله والوطن[١٧].

وتتيح المواقع الإلكترونية للجماعات الإرهابية قدراً من التحكم والمرونة في المعلومات والرسائل الإعلامية التي تريد توجيهها لفئات مختلفة من الجمهور.

وتعد الجرائم الإرهابية عبر الشبكة من الجرائم المنظمة وفقًا لنظام بالغ الدقة والتعقيد يفوق النظم التي تتبعها أكبر المؤسسات تطوراً وتقدماً، ويخضع أفرادها لقواعد وقوانين سنوها لأنفسهم، وأحكاماً بالغة القسوة لمن يخرج عنها.

ومن أبرز استخدامات الإرهابيين لشبكة الانترنت:[١٨]

١. بث بيانات إعلامية : بما تحمله هذه البيانات من تهديد ووعيد أو إعلان المسئولية عن تفجيرات معينة أو التعقيب على الأحداث وكذلك بث أخبار وصور وفيديوهات عبر الفيس بوك وأبرز من يقوم بذلك التنظيمات الارهابية، وفي مقدمتها داعش والقاعدة والاخوان والنصره.

٢. البحث عن المعلومات: مثل أماكن المنشآت النووية، المطارات الدولية، المعلومات الخاصه بسبل مكافحة الإرهاب، حيث يشكل الانترنت ٨٠ % من المصادر المعلوماتية للإرهابيين.

٣. الاتصالات: تقوم المنظمات الإرهابية المتطرفة بالاستفادة من شبكة الإنترنت فى الاتصال ببعضها البعض، نظرًا لقلة تكاليفها مقارنة بوسائل الاتصال الأخرى.

٤. تجنيد إرهابيين جدد: إن استخدام عناصر جديدة داخل المنظمات الإرهابية يحافظ على بقائها واستمرارها كما إنهم يستغلون تعاطف البعض من مستخدمي الإنترنت مع قضاياهم ويجتذبون هؤلاء بعبارات حماسية وبراقه من خلال غرف الدردشة الإلكترونية خاصة بعد أن أصبحت أعداد كبيرة من الشباب والمراهقين تتركز فى الجلوس بالساعات الطوال فى مقاهى الإنترنت للتواصل مع جميع أنواع البشر.

٥. إصدار التعليمات والتلقين: حيث يمتلىء الإنترنت بكم هائل من المواقع والصفحات التى تحتوى على كتيبات وإرشادات تشرح طرق صنع القنابل والأسلحة الكيماوية الفتاكة.

٦. التخطيط: يتيح الانترنت للإرهابيين حرية التنسيق الدقيق لشن هجمات إرهابية محددة. وقد اعتمد أعضاء تنظيم القاعدة البارزون بشكل مكثف على الإنترنت فى التخطيط لهجمات ١١ سبتمبر. ويستخدم الإرهابيون الرسائل الإلكترونية العادية لتدبير الهجمات الإرهابية وتنسيق الأعمال والمهام لكل عنصر إرهابى، وقد نشر موقع "الإخلاص"

وهو كثيراً ما يستخدمه أنصار القاعدة نسخة محدثة من برنامج تشفير قال أنه سيساعد فى التواصل بشكل أكثر أمنا وأن هذا البرنامج "أسرار المجاهدين"، هو أول برنامج للتراسل الآمن عبر الشبكات.

٧. الحصول على التمويل:يستعين الإرهابيون ببيانات إحصائية سكانية منتقاة من المعلومات الشخصية التى يدخلها المستخدمون على الشبكة من خلال الاستفسارات والاستطلاعات الموجودة على المواقع الإلكترونية فى التعرف على الأشخاص ذوي القلوب الرحيمة، ومن ثم يتم استجداؤهم لدفع تبرعات مالية لأشخاص اعتباريين يمثلون واجهة لهؤلاء الإرهابيين ويتم ذلك بواسطة البريد الالكترونى بطرق ملتوية لا يشك فيها المتبرع بأنه يساعد إحدى المنظمات الإرهابية.

ولعل هذا الانتشار للإرهاب الإلكتروني يثير التساؤل التالي، عن ماهية أسباب زيادة هذا النوع من الجرائم في مصر والوطن العربي؟، حيث تتنوع أسباب انتشار جرائم الإرهاب الإلكتروني في الوطن العربي، ويأتي في مقدمتها[١٩]:

- زيادة قاعدة مستخدمي الإنترنت في الوطن العربي مع عدم وجود برامج توعية، جعل الكثير منهم ضحايا للاختراقات والجريمة الإلكترونيَّة.
- ضعف القوانين الرادعة المتخصصة في جرائم الإرهاب الإلكتروني، فالقليل منَ البلدان تحاوِل سن تشريعات لهذا النوع منَ الجرائم، إلا أنَّها ما زالت في مراحلها الأولى، وتَحتاج إلى المزيد منَ التَّحسينات والتَّنقيح.
- القصور في برامج التوعية الأمنية: هناك نقص شديد جدًا في برامج التوعية بأمن المعلومات على مستوى الأفراد والمؤسسات والحكومات. وهو ما يستغله المجرمون في ارتكاب مثل هذه الجرائم، خصوصًا وأن هذه البرامج متوفرة باللغة الإنجليزية، لذا فإن هناك حاجة إلى برامج توعية وتدريب قوية تستهدف النَاطقين باللغة العربية لتدريب المستخدمين، والعاملين في الشركات، ورجال القانون، لفهم المشكلة وتداركها سريعاً.
- ضعف الوازع الديني والفهم الخاطيء لبعض أمور الدين والذي يجعل البعض يقدمون علي هذه الجرائم بهدف الكسب المادي بغض النظر عن مشروعيتها ومطابقتها للدين ومبادئه .

كما تستغل بعض المواقع الدافع الجهادي باسم الدين، ويتزامن ذلك مع وجود بعض المشكلات السياسية والاقتصادية علي الصعيدين العربي والإسلامي، التي تؤدي إلي زيادة الترويج لهذه المواقع، وهو ما أدي إلي ظهور ما يعرف بالجهاد الإلكترونيJihad Online، والذي تتعدد مواقعه علي شبكة الانترنت. فقد تعلن بعض الجهات أنهم يستخدمون تقنيات الاختراق لمهاجمة الأعداء، وتستخدم مواقعهم كآلة فعالة للدعاية لأفعالهم، وأيضًا استقطاب آخَرين

للمساندة والاشتراك، وأيضًا تستخدم المواقع في جمع التبرعات باسم الجهاد، وأيضًا الحصول على معلومات من المستخدمين والأعضاء، وقد تستقطبهم للعمل معهم، ودائمًا يبحَث أصحاب هذه المَواقع عنِ المواهب الشابة التي تساعدهم في إدارة الموقع واستخدام التقنيات الحديثة، ويتم استِقطابهم بداية باسم الوازع الديني، والذي ربما يَتَحَوَل فيما بعدُ بأساليب مختلفة إلى دافع إرهابي. وليسَ بِالطبع كل ما هو ديني هو إرهابي؛ ولكن نظرًا لوجود الوازع الديني فإنَّ استِقطابهم من قِبَل هذه المواقع وتغيير أفكارهم باسم الدين لهو من الأعمال السهلة، وقد تستخدم هذه المواقع للتعرف على كيفية صنع القنابل والمتفجرات؛ وكذلك الإعداد والتَّخطيط للهجمات التي تحدث في أرض الواقع، وقد يستخدمون أساليب تشفير متطورة لإخفاء المعلومات عن بعض الجهات التي تراقب المواقع.

وختاما وفي ظل كون الإرهاب يمثل تحديًا إقليميًا ودوليًا في ظل القناعات التي ترسخت حول فشل المقاربة الآمنية والعسكرية في محاصرته وتطويقه والقضاء عليه، بدت الأمور منصبة على أهمية البعد الإعلامي وضرورة تفعيل الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في مجال مكافحة الإرهاب، وقد نصت الإستراتيجية العربية لمكافحة الإرهاب التي أقرها مجلس وزراء الداخلية والعدل العرب عام١٩٩٨ على تكثيف استخدام وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لتنمية الوعي العام العربي والوطني والقومي وإبراز الصورة الصحيحة للإسلام.

كما تسابقت الدراسات والاستراتجيات إلي التوصية بوضع آليات إعلامية في سياق جهود مناهضة الإرهاب في المنطقة العربية من أبرزها مايلي[٢٠]:

- تجديد لغة الخطاب الإعلامي، وتصحيح المفاهيم الخاطئة للجهاد في سبيل الله، والتمييز بين الإرهاب والمقاومة المشروعة ضد الاحتلال وإعداد برامج تبث باللغات المختلفة للتعريف بالإسلام.
- تحمل الإعلام الغربي مسئوليته في ضرورة احترام أديان الآخرين وعقائدهم، وعدم الربط القسري بين الإسلام والإرهاب، والتأكيد على أن الإرهاب ليس له دين، وتنفيذ التوصيات التي خلصت إليها المؤتمرات الدولية بشأن التناول الإعلامي للرموز الدينية .
- توعية الإعلاميين العرب بضرورة السماح بانسياب وتدفق المعلومات الصحيحة للمواطنين وبأسرع وقت للحيلولة دون التأويلات والتكهنات، كما يمكن إطلاعهم على حجم المخاطر التي تطرحها هذه التحديات، بما يمكنهم من تكوين رأي عام راسخ ومناهض للإرهاب.
- توجيه أدوات الوعي والثقافة السياسية ووسائلها المختلفة التي تزخر بها وسائل الإعلام لتكون فعالة في تنمية الشباب وتنمية مدركاتهم وإمكاناتهم للتصدي لظاهرة الإرهاب والتطرف التي تعصف بالمجتمعات.
- دعوة المؤسسات الإعلامية العربية للقيام بمسئولياتها تجاه محاربة الإرهاب، وإبراز الدور الحقيقي للعرب والمسلمين في

مكافحة الإرهاب، وتغيير الصورة النمطية عن العرب والمسلمين.

- تكثيف برامج التصحيح الفكري باستخدام مختلف وسائل الاتصال الجماهيري، وخاصة الشبكة العنكبوتية العالمية، والمنتديات الثقافية وغيرها.
- تبني برامج إعلامية شاملة تهدف إلى تنمية الوعي الوطني العام، وتكريس حب الوطن وأهمية الإنتماء إليه في أوساط المجتمع، والتصدي لما يطرح عبر وسائل الإعلام من مغالطات وأفكار مغرضة للتأثير السلبي على الشباب.

قائمة المصادر

١. سلام أبو الحسن، الإرهاب في وسائل الإعلام ، ط ١ (الإسكندرية – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٥) .
٢. مخلد خلف النوافعة، اتجاهات الجمهور الأردني إزاء قضايا الإرهاب التي تبثها قناتا الجزيرة والعربية الفضائيتان الإخباريتان: دراسة ميدانية، رسالة ماجستير، غير منشورة، ٢٠١٠.
٣. ورشة عمل حول دور الاعلام والاجهزة الأمنية في مكافحة الإرهاب، مجلة الدستور الالكترونية، العدد (١٧٢٣٩)،(عمان: الشركة الأردنية للصحافة والنشر :٢٠١٥)
٤. انتصار إبراهيم، صفد حسام، الإعلام الجديد: تطور الأداء والوسيلة والوظيفة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع، ٢٠١١.
5. Mc Robbie, A, Everyone is Creative : Artists as New Economy Pioneers? Open Democracy. (2001).
٦. نبيل عبد الفتاح، الرؤى الملتبسة الإعلام والإرهاب، القاهرة: المركز العربي للبحوث والدراسات، ٢٠١٤.
http://www.acrseg.org/3703
٧. محمد الهواري، الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج، موقع حملة السكينة - الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج، متاح على الرابط:
www.assakina.com/files/books/book26.pdf ،Date of search: 25-8-2016.
٨. المرجع السابق نفسه، ص ٢٠:٢٧
٩. نصيرة تامي، دور الإعلام الفضائي في التصدي لظاهرة الإرهاب: الإعلام الفضائي العربي نموذجا، كلية علوم الإعلام والاتصال. متاح على الرابط:
temmaryoucef.ab.ma/144191.htm, Date of search: 25-8-2016.
١٠. هايل ودعان الدعجة، الإعلام والإرهاب، ورقة مقدمة إلى :مؤتمر جامعة الحسين بن طلال الدولي حول الإرهاب في العصر الرقمي، الأردن ٢٠٠٨ متاح على الرابط التالي:
http://www.t1t.net/book/save.php?action=save&id=180
١١. وليد عمشة، أثر التكنولوجيا المستخدمة في جمع وتقديم الإخبار على شكل ومضمون الخدمة الإخبارية ، دراسة عن القنوات الفضائية غير الحكومية، رسالة ماجستير غيرمنشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة،٢٠٠١.
١٢. مقال بعنوان : دور وسائل الإعلام في تغذية العنف والإرهاب والتطرف، متاح على الرابط:
www.assakina.com ،Date of search: 24-8-2016.
١٣. هايل ودعان الدعجة، مرجع سابق.
١٤. نصيرة تامي، مرجع سابق.
١٥. محمد الرشيدي، العنف في جرائم الإنترنت، أهم القضايا: الحماية والتأمين، ط١ (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠١١).
١٦. جريدة الجمهورية المصرية ، دراسة عن مواجهة استخدام الإرهابيين لشبكة الانترنت، متاح على الرابط:
www.gomhuriaonline.com/main.asp?v_article_id=386473 .Date of search: 24-8-2016.
١٧. مديرية تكنولوجيا المعلومات، قسم نظم المعلومات شعبة امنية المعلومات، وزارة الداخلية، الجريمة الإلكترونية، متاح على موقع :
www.ictmoi.com/elibrary/crime.pdf.Date od search:
١٨. جريدة الجمهورية المصرية، مرجع سابق.
١٩. محمد الرشيدي، مرجع سابق.
٢٠. جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، قطاع الإعلام والاتصال، إدارة الأمانة الفنية لمجلس وزراء الإعلام العرب، الاستراتيجية الإعلامية العربية المشتركة لمكافحة الإرهاب، القاهرة: ١٩- ١٢- ٢٠١٣.